ومن جهة اخرى، ليس هناك تركيز على صورة الجيش والنظام في الاردن . فقد أعلن الاسرائيليون ان الاردنيين « خرقوا تعهدات صريحة بكبح جماح الارهابيين » وفقا لاتفاقية وقف اطلاق النار بعد حرب ١٩٦٧ ، اي قبل تسعة أشهر من معركة الكرامة ، ومع هذا فانهم ما يزالون يزعمون انهم يحاولون تجنب اية مواجهة مع قوات حسين . وليس هناك مجال للتأكيد ما اذا كانت سياسة الحكومة الاسرائيلية نفسها غير واضحة او أنهم كانوا يحاولون استغلال السياستين ، ولكن الحكومة الاردنية ظهرت من الجهة الاولى ، وكأنها غير حاسمة وضعيفة ومتأرجحة ، ومن الجهة الاخرى ، انتهازية ماكرة ومخادعة . ويظهر ملك الاردن في أحد الروايات وكأنه يستخدم الفدائيين لكسب شخصي كزعيم البلد العربي الوحيد الذي بدا يستعيد كبرياءه بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ . ففي حين يتستر هو باتفاقية وقف اطلاق النار سمح للفدائيين باقامة قاعدة لهم في بلاده وسمح لجنوده بتغطية الفدائيين أثناء قيامهم بعملياتهم . وتصوره رواية اخرى كحاكم لا حول له ولا قوة ولا سيطرة على بلده وانه ملك برضى الفدائيين فقط مما جعله غير قادر على الالتزام بوقف اطلاق النار .

ولم تخل القصة من تبريرات للخسائر في المعدات والارواح التي مني بها الاسرائيليون . وقد عزا الاسرائيليون ذلك للدور الذي لعبه الجيش الاردني وذلك في محاولة منهم لطمس قدرة الفدائيين على ايقاع ابسط الخسائر بهم . ومعظم الصور التي اعطيت عن الاردنيين كانت حسب اقوال المراسلين العسكريين الاسرائيليين كما يلي : « لم يبد الاردنيون اية مقاومة صلبة بل فضلوا التراجع بأسرع ما يمكن تاركين وراءهم عشرات الدبابات المعطوبة والمدافع المدمرة . وفي أكثر الاحيان كانوا يتركون هذه المعدات وهي في حالة سليمة . » اما المشاق القاسية التي واجهها الاسرائيليون في الجنوب فلم تكن بسبب مقاومة الفدائيين بل بسبب الارض الرملية والوديان العميقة .

الاسلوب : الجراد الغاضب

ان الاسلوب الذي عرضت به قصة الكرامة هو الخاصية الوحيدة التي لم تكن لتنسجم مع خصائص القصة الشعبية . فرغم المرونة التفسيرية التي بدأت تتميز بها الصحافة المعاصرة ، فان اسلوب القصة الشعبية الموزون والذي تكثر فيه المحادثات لا يصلح بعد كمادة صحفية ناجحة . ومع هذا فقد اعطيت القصة بريقا خاصا من خلال تعابير مثل « وانتزعت الكرامة من بين فكي كماشة الجيش الاردني » ، و« النفاثات الخاطفة كانت تئز في الجبهة الشرقية » ، وكانت طائرات الهليوكبتر تمر فوق نهر الاردن « اسرابا اسرابا كالجراد الغاضب » .

شيء من الحقيقة

لقد اخفقت هذه القصة بكل سحرها الشعبي في أن يتقبلها الرأي العام في الغرب لسببين رئيسيين : فقد اثار الهجوم الواسع النطاق رد فعل سلبي لدى الرأي العام ، كما ان الحوادث التي أعقبت الغارة اثبتت زيف الانتصار . واعربت دول اجنبية كثيرة عن امتعاضها لكون الغارة الاسرائيلية اكبر بكثير من الاسباب التي دعت لذلك ، كما أن الهجوم خلق رأيا عاما ضد اسرائيل ، وافضل تعبير عن ذلك شجب مجلس الامن الدولي للعملية بعد يومين من وقوعها ، حتى أن آرثر جولد برج ، المندوب الاميركي ، لم يستطع الا ان يصف العملية بأنها « غير متناسبة جدا » والا ان يعرب عن « اسفه الشديد لها » . وكل هذا الاستنكار جعل رواة القصة الاسرائيلية يقفون في قفص الاتهام . ولكن جروسالم بوست نشرت الى جانب تغطيتها لمناقشات مجلس الامن مقتطفات من الصحف العالمية ، كلها باستثناء واحدة ، تدين العرب اكثر من الاسرائيليين ، كما أن جميع المقتطفات من الصحف العبرية كانت تبرر العملية بل وتؤيدها .